المؤتمر الرابع لحركة فتح
٢٢ أيار - ١ حزيران ١٩٨٠

الذين يزعمون انهم ، بشكل أو بآخر ، كانوا على معرفة بما يمكن أن يتمخض عنه المؤتمر العام لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، الذي انعقد بين الثاني والعشرين من الشهر الماضي ومطلع الشهر الحالي ، هم إما واهمون أو مُدَّعون يحاولون خداع أنفسهم قبل خداع الآخرين . وهذا القول ، بكل أبعاده ، ينطبق ، ليس على الذين هم خارج « فتح » ، وإنما على الذين هم داخلها ، بل وعلى أعضاء المؤتمر أنفسهم أيضاً ، وحتى على الذين، قد يكونون ، في أعلى الهرم منهم ، فهم لم يصلوا ، بتوقعاتهم ، إلى ما تمخض عنه هذا المؤتمر العتيد ، حقاً ، والذي يعبر ، بكل الأبعاد ، عن أرقى أشكال الوعي والمسؤولية ، وإن كان في بعض الأحيان القليلة ، كما سنوضح فيما بعد ، قد وقع في الذهن أنه ربما تجاوز ، حدود العملية - ولا أقول اللعبة - الديمقراطية ، وصولاً إلى حدود التسيب والانفلاش . على أن هذا الذي بدا إنما كان مرتبطاً ، أو متعلقاً بالخوف على المؤتمر ، أكثر مما كان حقيقة واقعية فرضت هذا التصور أو ذاك الانطباع .

وكي لا يكون الكلام ضبابياً وعائماً ، أسارع إلى القول : إن معظم الانطباعات والتصورات التي استطعت استقراءها قبل المؤتمر ، بما فيها انطباعاتي الخاصة ، كانت تشير إلى أنه لن يتجاوز ، في امتداده ، أيامه الثلاثة في أحسن التقديرات ، وأيامه الخمسة في أسوئها ؛ وقد فرضت هذه الانطباعات ، أو التصورات نفسها انطلاقاً من الاعتقاد بتقلص الخلاف السياسي بين أعضاء الحركة الواحدة ، إلى أقل مدى ممكن ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية انطلاقاً من القول الذي شاع ، طويلاً وكثيراً ، في حركة « فتح » والذي يتلخص بأن اللجنة المركزية للحركة لن تأتي إلى المؤتمر إلا بعد أن تكون قد رتبت أوضاعها ، واتفقت فيما بينها على التفاصيل الصغيرة قبل الخطوط العريضة ، فهي بهذا تفوت الفرصة على كل توسع يمكن أن ينشأ في حدود العملية الديمقراطية ، وان هذه العملية تصبح ، بهذا المفهوم ومن هذا المنطلق ، هي اللعبة الديمقراطية التي ، بشكل أو بآخر ، ترسم اللجنة المركزية حدودها وأبعادها .

لقد عزز هذا التصور ذلك الرأي الذي شاع داخل حركة « فتح » ، والذي كان يعتقد أن المؤتمر هو ، بشكل أو بآخر ، لعبة اللجنة المركزية التي تطرحها لامتصاص تراكمات السنوات الماضية التسع ، التي فصلت بين مؤتمري « فتح » الثالث والرابع ، والتي كانت، بكل الأشكال ، كما سنرى فيما بعد ، سبب الأسباب في ما يمكن تسميته مفاجأة حركة « فتح » متمثلة في مؤتمرها العام الرابع العتيد .

وإذا كان هذا الرأي ، الذي يرى في المؤتمر لعبة هدفها امتصاص التراكمات ، معتقد معظم أعضاء حركة « فتح » ، فانه قد ساد كافة التنظيمات الفلسطينية واللبنانية ، وكذلك الأحزاب والقوى الوطنية الأخرى .

ما الذي جرى إذن ؟ هل كان في الأمر سوء تقدير بالغ الفداحة إلى هذه الدرجة ، مما يمكن معه القول ان ثمة